خواطر

حسناء أبو عرابي

صوت مستعار

شعر

صوت مستعار

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1444 هـ / 2023 م

تركيا ـ إسطنبول

00905343882992

darkhwatr@gmail.com

DAR KHAWATIR

مكتبة خواطر للطباعة والنشر

HIRKA-İ ŞERİF MH. BATTAL GAZİ SK. NO 109/A
FATİH / İSTANBUL

شعر

صوت مستعار

حسناء أبوعرابي

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو (بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى) دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدما.

الكتاب: صوت مستعار

المؤلف: حسناء أبو عرابي

الناشر: خواطر للنشر والتوزيع

نوع العمل: شعر

الطبعة الأولى 2023 ميلادي / إسطنبول

تصميم الغلاف: Baitalrawan.

تدقيق لغوي: الشاعر أبو ريبال (محمد زين).

الترقيم الدولي: 978-605-7132-79-6 :(ISBN)

الإهداء

إلى الغيوم التي تمنح الحب والفيء والمطر بلا مقابل.

سوريا

خُذيني إليكِ

أيّتُها الأرضُ التي لا تعرفُ الوفاء

أيّتُها الأمُّ التي تطردُ أبناءَها

ولا تعرفُ العِناق

أتسوَّلُ رضاكِ

وأعودُ إليكِ

في كلِّ عيد

وفي اليومِ التالي

أهربُ من القفصِ

ألعنُكِ

وألعنُ شجرةَ العائلة.

كيف تمرُّ هذه الأيام

كتبتُ على الجدار

أريدُ بيتاً

أعطَوني قبراً

وجُثثاً حيةً لأطعمَها!

كيفَ تمرّ هذهِ الأيام

أريدُ يا الله

أن أشعرَ بالفرح

قلبي عصفورٌ قلِقٌ..

مذعور..

أخذتِ الريحُ عشَّهُ

فكيفَ يهبطُ بأمانٍ

وكيف يعود!

صورة كاملة

مجبرةٌ على ارتداءِ الابتسامةِ

وأنا أرى الخيبةَ تقطرُ من حياتي

أصغي للجميع

ولا أتحدثُ مع أحدٍ

الوحدةُ تعيدُ خَلقي

صورتي مكتملةٌ

لكنّ شيئاً هنالِكَ في الأعماقِ

ما زال ناقصاً!

ليس هنالك سببٌ خاصٌ للحزنِ

ليسَ هنالكَ سببٌ خاصٌ للحُزنِ

يكفي أن أصمتَ قليلاً

لأسمعَ

ما لستُ أنساه

وأرى ما هربتُ منه!

ليس هنالك سببٌ خاصٌ للحُزن

لكنه كلّما تفتحَ برعمٌ في الحقلِ

يعتريني حنينٌ غامضٌ

لزمانٍ كان يوماً حاضري

ليس هنالك سببٌ خاصٌ للحزن

لكنّ ضحكةَ طفلٍ

تغوصُ كالسكينِ في أحشائي

تحركُ ذاكرةَ الشقاءِ

ليسَ هنالك سببٌ خاصٌ للحزنِ

لكن شُرفَتي تطلّ على البحرِ

وأنا أخشى أن يذوبَ قلبي

أخشى هبوبَ العاصفةِ

آه يا قلبي الناقِص

الريحُ شديدةٌ

وأنت مكسورٌ.

سؤال

طردتُ خمسَ نساءٍ قبلكِ من داخلي

وفي كل يومٍ تولدُ امرأةٌ جديدة!

لكنك أنتِ

أنت أيتها المرأةُ الحزينةُ

لمَ لا ترحلين؟

لماذا؟

أواجهُ هذا العالمَ بلا وجهٍ

هذه الملامحُ التي تضمحلُّ وتتغيرُ وتتلونُ ليستْ لي

هذا الوجهُ المعكوسُ في المرآةِ ليس لي

أنا الشاهدةُ على اضمحلالي

لماذا كلّ هذه الأشياءِ لي؟

أيها الحب

أيُّها الحبُّ

حزينةٌ لأنني عرفتُكَ

حزينةٌ لأنني لا أستطيعُ التعرفَ عليكَ مجدّداً!

لا تبدأِ الحوارَ

النافذةُ مفتوحةٌ

والقلبُ مغلقٌ

لا تبدأِ الحوار

أنا لا أطيعُ الحبَّ إن أتى مُتعقّلاً

أنا لا أحبُّ ترددَ الكلماتِ

ولا أريدُ مِظلةً

إني لقاعِ عظامي مفتونةٌ بمعجزةِ المطرِ

هجرتُ هذه الأرضَ كي أقيمَ بغيمةٍ

إني أتوقُ لأن أصيرَ عناقاً

ولأن أذوبَ في الترابِ

وأزهرَ أغنياتٍ وأكاليلَ فرحٍ.. كالأملِ

لا تبدأ الحوار

فالشوقُ عندي عودُ ثقابٍ للحرائقِ

يرفضُ أن يضيءَ شمعةً

ولا تقلْ شكراً لصمتي

لا تقلْ مرحباً للإيحاءِ

قُل وداعاً للسحابِ المُغادرِ

للخيالِ الذي غدا أبكماً

يا أيها المستترُ خلفَ الاقتباسِ

لماذا تشاكسُ الريحَ في العاصفةِ

إن كنتَ تخشى من البللِ؟

هل من مزيد؟

الزهورُ بلا لونٍ

أوراقُ الأشجارِ تتساقطُ بالمئاتِ

وقلبي يدقُّ

يقولُ بأنني أحيا

القطارُ يرحلُ ليعاودَ رحيلَه من جديد..

الشمسُ تشرقُ كي تتوارى

الأبيضُ يستندُ على كتفِ الأسودِ ويتلاشى

التربةُ تبتلعُ الجثثَ وتسألُ:

هل من مزيدٍ؟

لا تصلح هذه الأرضُ لشيء؟

رفضٌ لا احتمالاتِ لهُ

وأرفضُ هذه الدنيا

بكل ما فيها من وهمٍ وحقيقةٍ

وأرفضُ كلَّ الوثائقِ التي تقول

بأنني ولدتُ

أخبروا الحزنَ بأن الوجعَ قضَمَ قلبي

كتفاحةٍ..

قَضَمهُ كلَّهُ

لم يُبقِ منه شيئاً

ولم يبق فيه أحدٌ

السر

أبعد يديكَ

أبعد كلَّ الأكاذيبِ التي تخالُها سريةً

حُزني عزيزُ النفسِ

حزني لا يحتاجُ إلى صديقٍ

حزني غالٍ

حزني غالٍ وأنت رخيصٌ.

سنة جديدة.. لا تخصُّني!

قلبي فَزِعٌ

قلبي فارغٌ

رأسي مليءٌ بالضجيجِ

فمي صامتٌ

روحي.. لا تكفُّ عن الصراخِ

لا أحدَ يريدُ موتَه

لا أحدَ يريدُ الحقيقةَ

سنةٌ جديدةٌ لا تخصُّني

أبحثُ عن عاميَ المُشتهى وأتساءلُ:

كيف لخطوةِ السجينِ أن تغدوَ طريقاً؟

باختصار تقول:

أرتدي حياةً ليستْ لي

محاطةٌ بالأشباحِ

محاطةٌ بالأغبياءِ

وبعضهم يحذفُ الهمزةَ من اسمي من دون إذنٍ

وأنا أريدُ اسمي كاملاً

أريدُ عمري كاملاً

وأريدُ جسدي كاملاً لي وحدي

سنةٌ جديدةٌ.. لا تخُصّني

تَسطو على عُمري كالعائلةِ

وتسألُني:

لم صوتكِ عزفٌ؟

ولم تشبهينَ الكمانَ الحَزين؟

سقطَ الفؤادُ

وأتقي بعظميَ الرقيقِ العاصفةَ

كمثلِ زيتونةٍ في غيرِ تُربتِها

تغدو غريبةً

سقط الفؤادُ

لم أرَه يتهشمُ

ولم أنزفْ زيتاً

لستُ متأكدةً أنّ الذي غادرَني قلبي

لكنني نظرتُ في المرآةِ

وجدتُ وجهاً جديداً لا يشبهُني

لكنه لي!

ووجدتُ حُزناً عظيماً تسرّبَ مع الماءِ إلى جذوري

وصارَ أنا.

لو تعلمين

تومضُ بالأضواءِ نافذتي

إنه العيدُ

الفرحُ يقرعُ الزجاجَ

والقلبُ متأهبٌ لقفزةٍ

لكنني نسيتُ كيف أستخدمُ يدي

كيف أقبضُ على اللحظةِ

نسيتُ كيفَ تشهقُ الروحُ

تحتَ ألوانِ قوسِ قُزَح

نسيتُ الركضَ في الحقولِ

ونسيتُ الابتساماتِ

وكيف أبتسمُ!

في الغربةِ

كما في الوطنِ

برقٌ ورعدٌ وشتاءٌ

البردُ يتسلّلُ من أطرافِ أصابعي

يستقرُّ في روحِ القصيدةِ

ولمن أشكو همومي

لمن أشكو همومي يا دمشقُ

وأنتِ أمي

وأنتِ لُغتي

وأنتِ قلبي البعيدُ المنزوعُ من جسدي

لمن أشكو وأنا المهزومةُ بالحنينِ

المطعونةُ بأشواكِ وعطرِ الياسمين

صوتُ الماضي خافتٌ، حزينٌ

إنه خائفٌ مثلي.. أنا الخائفةُ!

لا.. لستُ بحاجةٍ إلى قارِبٍ

أنا بحاجةٍ إلى حُرّيتي

إلى صَوتي

إلى هَويّتي

إلى غَدي المجهولِ

إلى تاريخي المغتصبِ

لا.. لستُ بحاجةٍ إلى قارِبٍ

أنا بحاجةٍ إلى صوتِكِ أنتِ

إلى هوائكِ

إلى مائكِ

إلى رائحةِ عرَقِكِ

إلى وجهكِ الحزين

إلى كبريائِكِ

أرشُّ بماء الزهرِ ذاكرةَ المآذنِ

علَّكِ تذكرينَ صاحبةَ العيونِ الحزينةِ

علّكِ تناديني

علّكِ تشفقينَ على ابنتِكِ الضالّةِ

آه لو تعلمينَ

كم تمنيتُ حدوثَ المعجزةِ

وكم انتظرتُ لحظةَ هطولِ المطرِ

أن تغدوَ الشوارعُ من حولي

أزقةَ الشامِ

كم تمنيتُ أن تَجلدَني المياهُ الغاضبةُ

الهاجمةُ من مزاريبِ أزقةِ الشامِ

الفيضانُ في جسدي

ونفسي عائمةٌ

أنا الغارقةٌ منذُ الأزلِ

وما زالَ أمامي الطريقُ طويلاً

آه.. يا إسطنبولَ الموحشةَ الفاتنةَ

آه.. لو تُصبحينَ دمشقَ لِلَيلةٍ واحدةٍ.

لستُ وكلَّ الزهورِ سواء

لا تغرسوني في تربةٍ خصبةٍ

يفورُ فيها الماءُ

أنا لستُ وكلَّ الزهورِ سواء

اغرسوني في الصحراءِ

كي أكونَ معجزةً

كي أبدأَ الحياةَ من الجفافِ

كي أخبرَ الأملَ اللطيفَ بأنني

رغمَ احتضاري

رغمَ انكساري

لا زالَ في صوتي بقايا غِناءٍ.

قلبٌ برسمِ البيعِ

يتحتمُ عليّ الموتُ باكراً

يتحتَّم عليّ الرحيلُ

لكنني سأحيا قليلاً

وأكملُ فنجانَ قهوتي

ريثما أبيعُ قصائدي

أبيعُ قلبيَ الحقيقي

وأقبضُ الثمن

فالقبرُ كالوطنِ

لا يحتويكَ إن أنتَ

لم تدفعِ الثمن..

قطرةُ نَدى

لنمضِ قبلَ الشتاءِ

تعال..

نلتجئْ إلى رحيقِ زهرةٍ

ونَتلاشى فيهِ

أعرفُ أنك ستسطو على العطر وترحلُ

قدري أن أحيا معكَ بهيئةِ قطرةِ ندى.

ربيعٌ ضائعٌ

التقيتكَ ذاتَ خريفٍ

حلمتُ أن نسقيَ معاً كلَّ الأشجارِ العطشى

حلمتُ أن نعيدَ لكلّ الأزهارِ ألوانَها الجميلةَ

لكنكَ جفّفتَني كورَقةٍ يابسةٍ

ألقيتَني بين صفحاتِ روايةٍ رديئةٍ

لم تُعجبْكَ

احتجزتَني، ومضَيت!

لستُ آسفةً

سئمَ قلبي

من صورتِكَ الملصقةِ عنوةً

على رأسِ كلِّ شريانٍ

على رأسِ كلِّ كريةِ دمٍ

حمراءَ أو بيضاءَ

ولستُ آسفةً لأنّ قلبي تمردَ

ولأنني لا أحلمُ إلا بالنّجاةِ.

يقولون

جسدي خيمةُ لاجئٍ

في مهبِّ الريحِ ممزقةٌ

وقلبي خرقةٌ باليةٌ

ثقبتْها الهمومُ..

مغموسةٌ بالمطرِ والمِلحِ

ويقولونَ حُزني خبرٌ جديدٌ

صورةٌ عابرةٌ

وحزني عتيقٌ

عتيقٌ يا أمي

وحزني كبيرٌ وشريفٌ

ومأساتي قديمةٌ.. جديدةٌ

مأساتي بالدّمِ والرصاصِ مؤرخةٌ

كلانا غريبٌ

كلانا مشتاقٌ

أنا وأنتَ

كلانا عنوانُهُ بحرٌ

يفرّطُ بالوعودِ وبالتذكارِ

تلك التعابيرُ العالقةُ بين السمواتِ التي تفصلُنا

هي كل ما أبتغي كتابتَهُ

أنا كلّ ما لم أقُلْهُ

كل ما لم يقلْه قلمي..

كلانا غريبٌ

كلانا ما تهدمَ في الطريقِ إلى الحقيقةِ

وبيننا ردمٌ من الخيالِ

بيننا بركانٌ من العصيانِ

وبيننا جدارٌ من المشاعرِ

سيلٌ غامضٌ من التنهداتِ

تُقربنا الدفاترُ والمحابرُ

تباعدُنا الألفةُ والمحبةُ

كلانا بعيدٌ

أنا وأنتَ

كلانا يصارعُ

كلانا يحلّقُ

كلانا ينتظرُ قافلةَ الرحيل!

لو أن

كانَ من الممكنِ ألا أكونَ خائفةً

كان من الممكنِ أن أستطيعَ النومَ

لو أن القنبلةَ لم تسقطْ على المقبرةِ!

عُمرٌ لا يُطاق

من عمقِ هذا القلمِ الأصمِّ

أستخرجُ التنهداتِ والغصّاتِ والأفراحَ الصغيرةَ

والألمَ

وأحلمُ بحكايةٍ جديدةٍ

كطفلةٍ يتيمةِ أنتظرُها

وأشعرُ أني على قيدِ الحياةِ

حين أكتبُ

أشعرُ أني على قيدِ الحياةِ

حين أقرأُ

وكلُّ ما بينهما ساعاتٌ من الخواء

ساعاتٌ من عمرٍ لا يطاق!

لم نلتقِ

لم نلتقِ أنا وأنتَ

لكنني يوماً تسربتُ إليكَ في كتابِ

لستُ منهُ وليس منّي!

يا غريبُ

احتفظْ بكل العباراتِ وخَبِّئْها

لأنني قاسيةٌ مع القصائدِ

أطردُها

لا أختارُ أسماءَها بعاطفةِ الأمِّ

ودفئِها لأنها صورٌ قديمةٌ منبوذةٌ

مبتورةٌ ويتيمةٌ..

قطعتُ الحبرَ عنها قبل أن ترتوي

لأنني أكرهُ النهاياتِ

لأنني أحبُّ الرَّحيلَ

أحبُّ السفَر

وأطلقتها في كتابٍ ما عانقتُهُ

لتكتمل!

ضيفٌ ثقيلٌ

تناثرتْ كلُّ ذكرياتِنا

كلُّ تلكَ الأوهامِ الساذجةِ.. رحلتْ

حتى بقايا الرمادِ الأخيرةُ.. سافرتْ

لكنكَ لا زلتَ هنا!

والصيفُ هنا

ضيفٌ ثقيلٌ لزجٌ كغَزَلِك المصطنعِ

غير متناسقٍ كضحكةٍ واحدةٍ

لاثنانِ يتقاسمانِ المساءَ معاً!

أهناك وقتٌ؟

أهناك وقتٌ؟

كي ألملمَ ما تبعثرَ منّي

كي أحملَ ما تبقى من ملامِحِ وجهٍ

كانَ لي!

أهناكَ وقتٌ

كي أظلَّ هنا

وينصفَني القدرُ

فينساني الجميعُ!

تمثال

تتمزقُ روحي

أنا لا أستطيعُ الوقوفَ

ولكنني أمشي!

أشعرُ أنّ جسَدي بناءٌ قديمٌ

عتيقٌ سيهوي

ولا أشعرُ بأنني أحتاجُ

لأن يحتَضِنَني أحدٌ!

رصاصةٌ

كلُّ ما أحببتُه لم يحبَّني

وكلُّ مَن أحبَّني

أهداني رصاصة

أخبرتك

أخبرتُكَ

بأن روحي شمعةٌ.. فأطفأتَها

لأنكَ نصفُ إنسانٍ

شبهُ رجلٍ..

لأنك نقيضُ الحياةِ

نقيضُ الفرحِ

أخبرتُكَ

أن الربيعَ خرافةُ الأغصانِ العاجزةِ

وبأن الموتَ حقٌ

وأنكَ لن تبعثَ في قلبي من جديدٍ

أخبرتكَ

أن اسمي هو الوقتُ

والوقتُ كالشبابِ

لا يعودُ ولا يستردُ.

كلمةٌ واحدةٌ

من بينِ كلِّ الأسماءِ

أبحثُ عن اسمٍ واحدٍ

من بين كلّ الكلماتِ

أنتظرُ كلمةً واحدةً.

كل الأشياء

كلُّ فكرةٍ.. أمنيةٌ لم تتحقَّقْ

كلُّ حرفٍ.. ابتسامةٌ مفقودةٌ

كلُّ كلمةٍ.. خيبةٌ

كلُّ قصيدةٍ.. دمعةٌ

كلُّ نصٍ.. انتحارٌ.

أيتها البلادُ التي أكرهُ

وأحقدُ عليكِ

لأنك خرابٌ

لأنك الجحيمُ

ولأنني أعشقُكِ!

أحقدُ على قبحِكِ الذي أشتهيهِ

وأحلمُ بكِ وأتبرأُ منكِ

وأزدريكِ

وأتوقُ.. أتوقُ إليكِ

وأكرهُكِ!

أيتها البلادُ التي أكره

لقد حزمتُ حقائبي

لكنَّ قلبي فرَّ مني!

أنا عصفورةُ النارِ

التي تتغذى من الرّمادِ

من الحرائقِ

التي لن تستقرَّ في أيّ بلدٍ

أحبكِ

وأكرهُ حبي لكِ

أيتُها البلادُ التي أنجبَتْني

يتيمةٌ لأنني منكِ

يتيمةٌ لأنني هجَرتُك

يتيمةٌ بكِ إلى الأبد!

أحدثكَ في خيالي

أحدثكَ في خيالي

فنختصمُ

وأرمي في وجهكَ كلَّ الكلامِ

كلَّ الكلامِ الذي لم أقُلْهُ

وأرميكَ حبيبي بالقُبَل

منذ عرفتُكَ

صارَ الحزنُ يسكُنني

موجعٌ تلبُّسُ روحِكَ في جسدي

موجعٌ انسحابُك

موجعٌ ما تركتَه من احتضارٍ يعتريني

كنتُ أعلمُ أنّ وجودَكَ مستحيلٌ

وأن لقاءَنا الوحيدَ كان وداعاً

كنتُ أعلمُ أنني لن أنساكَ

وأنني سأحيا معكَ عُمراً كاملاً في مخيلتي

وأنني في كل خِصامٍ

مع كل خيالٍ

سأركضُ إليكَ

وأحضنُكَ.

لا أرضَ تُخلصُ لابنِ تربتِها

أطلُّ على الأرضِ

عبثٌ زائلٌ كلُّ هذهِ الحجارةِ.. البيوتِ

أُطلُّ على النوافذِ

لا شيءَ إلا الجدار

كلُّ البلادِ منافٍ

كل البلادِ مدافنٌ

لا أرضَ تُخلصُ لابنِ تربتِها

الصمتُ قاتلٌ

لحظةٌ واحدةٌ استمرتْ لأعوامٍ

الألحانُ تتكسرُ على عتبَةِ البابِ

الكلماتُ تتناقصُ وتنحسرُ

سيأتي المدُّ قريباً ويبتلعُ كلَّ الآثارِ

نافذةٌ

نافذتي التي تطلُّ على الجدارِ

تظنُّ بأن الشمسَ خرافةٌ

نافذتي التي تطلُّ على الجدارِ

أحدّثُها عن الشجرِ ولا تبكي

نافذتي التي تطلُّ على الجدارِ

تقولُ بأنّ البيوتَ سجنٌ للنساءِ

وأن الشوارعَ واشيةٌ

وأن المدينةَ سجنٌ

والكونَ سجنٌ كبيرٌ

نافذتي التي تطلُّ على الجدارِ

تخشى أُذنيهِ

ونجحتْ بنسيانِ اسمِ سَجانِها

آهٍ.. ما أسعدَها تلكَ النافذةُ

لا أحلمُ بشيء

وكأنني بلا قلب

كلما ابتعدتُ

كلما تبدّدْتِ الروابطُ

لا أتذكرُ أيَّ شيءٍ

لا أحلمُ بشيء

غدي حقيبةٌ

وماضيَّ السرابُ!

ويومي كيومِ متسولٍ

يمدُّ يديهِ

يستجدي بعضَ الحياة

هل تستطيعُ

هل تستطيعُ رتقَ فتقٍ في القلبِ؟

وسدّ فجوةٍ في الروحِ؟

هل تستطيعُ كشفَ أسبابِ الشقاء؟

هل تستطيعُ اختراعَ اسم لهذا الفرحِ

لهذا الحزنِ الذي يجتاحُني

كلما صادفتُ زهرةً!

أحبكَ

وأجهلُ كيفَ ولِمَ

أجهلُ أينَ يكمنُ وجودُكَ

أنتَ مثل الوطنِ

تعني كلَّ شيءٍ

بوسعكَ أن تكونَ

العطرَ والشوكَ

بوسعكَ أن تكونَ

الجنةَ والجحيمَ

وكيفما كنتَ أحبكَ

لم نعدْ نتحدثْ

لكنني في كلّ ليلةٍ

أسمعُ وقعَ خطواتِكَ

أغلقُ البابَ

وأهمسُ أحبكَ.

أنتَ لا تعرفُ

أنتَ لا تعرفُ

بمَ يحلمُ المتعبون

وماذا يتراءى لهم

أنتَ لا تعرفُ أن الفقيرَ

يحلمُ بالبحرِ كثيراً ولا يتقنُ السباحةَ

أنتَ لا تعرفُ

أن القمرَ رغيفُ خبزٍ

في مخيلةِ جائع

أنتَ لا تعرفُ

كيف لبتلةِ زهرةٍ

أن تكونَ سهمَ نارٍ

في صدرِ مغتربٍ

أنتَ لا تعرِفُ

كم هو قاسٍ أن تموتَ لأجلِ حفنةِ ترابٍ لا تكترثْ

أنتَ لا تعرفُ

كم هوَ مؤسفٌ أن تشهدَ أفولَ شيءٍ أحببتَهُ

وتبقى على قيدِ الحياة.

سنكبرُ

سنكبرُ.. سنَسعَدُ لأجلِ كلِّ الأيدي التي لم تُمدَّ إلينا حينَ تعثّرنا

حين انكسرْنا

وحين زارَ المرضُ أجسادَنا

سنسعدُ لأجلِ كل الدموعِ التي ما اقتسمناها مع أحد

لأجلِ كلِّ الهمومِ وكلِّ المصاعبِ وكلِّ التغيراتِ البائسةِ التي مرّتْ بنا وغادرتنا

سنكبرُ

سنَسعدُ بانتصارِنا على شعورِ الحاجةِ،

الحاجةِ للعطفِ،

الحاجةِ للصديقِ،

الحاجةِ للابتسامة.

وسنكتفي بابتساماتِنا، بانعكاسِ صورِنا على المرآةِ

بملامحِنا القويةِ، الجميلةِ، النضرةِ

وسنبكي لفرطِ انخراطنا بالوَحدة

لفرطِ ما بمقدورِنا الاستغناءُ والاكتفاءُ بذواتِنا، الاكتفاءُ بصفحاتِ كتابٍ

سنبكي لفرطِ ما أصبحنا أقوياء!

الحزنُ العتيقُ

هل جربتَ أن تصغيَ لحديثِ السماءِ في الليل؟

هل حاولتَ أن تمعنَ النظرَ في ملامحِ القمر؟

هل وصلَ إليكَ صوتُ هذا الفضاءِ الشاسعِ المملوءِ بالعتمةِ والنجومِ

هل سمعتَ بالحزنِ العتيقِ ذاك الذي يباغتُ الروحَ لحظةَ خلوة؟

في ساعاتِ النهار الصاخبةِ البغيضةِ

يحدثُ أن أتوقَ إلى المساءِ

أشعرُ برغبةٍ جارفةٍ لسوادِ النوافذِ في الليلِ

أنا لا أنشدُ إلا الصمتَ والوحدةَ في ركنٍ صِيغَ من خيال

من حكايةٍ طويلةٍ لا نهايةَ لها

ورغمَ أني أهذي بأحلامي وأتحرقُ إلى غدي الحقيقيِّ القادمِ كلما جربتُ الإصغاءَ إلى ذاتي

لا يناديني أيُّ صوت!

نصفٌ

يقولُ لي

انظري للنصفِ الممتلئِ من الكأسِ

كم انتظرتُ لسنواتٍ حتى صرختُ بأنهُ لا بد من كسرِها

النصفُ المملوءُ كانَ منذ البدايةِ آسناً وغيرَ صالحٍ للشرب.

أحبُّ الحديثَ معك

عندما خبأتُ صوتَك داخلَ روحي

أصبحتْ ملامحي أجملَ

لم أكن أعرفُ قبلكَ

كيف يحولُنا السرُّ إلى مجانين

أيها الغريبُ

أنا والحظُّ خطانِ متوازيانِ

مدينةٌ لكَ بلذةِ الحزنِ

مدينةٌ لكَ بخوفي..

بقلقي

برَذاذِ السعادةِ العابرةِ

أيها الغريبُ

لا تنتظرني

لأنني أحب الحديثَ معك

ولأنني أعرفُ أننا سنفترق!

قبلةٌ مستحيلة

أفتقدكَ

وأعرفُ أنك لن تعود

ولم تكنْ يوماً هنا

أفِرُّ إلى النومِ من تفاصيلِ وجهكَ المطبوعةِ

في رأسي

نضجَ حبُّك

ولا ثمارَ أقطفُها

ليتني لم أعرفْ كم أنتَ مستحيل

لربما استطعتُ أن أفوزَ بقُبلة!

لن تجدَني

لن تجدَني

مهما بحثتَ عني

لأن نصفي الخياليَّ غرقَ في البحيرةِ

ونصفي الحقيقيُّ عاقلٌ

لا يستطيعُ أن يحبكَ.

أمِّي

أمّي

لقد رميتُ كلّ ما تعلمتُه منكِ

لأنك طيبةٌ جداً

وهذا العالمُ شريرٌ!

كلماتٌ برسمِ البيع

توقفتُ عن الشعورِ بالحب

ونسائمُ الشوقِ لا تعرفُ نوافذَ قلبي

كلماتي القديمةُ برسمِ البيعِ

لا أهتمُّ لسعرِها

كلماتي الجديدةُ ترفضُ الجلوسَ

هي مثلي

تشعرُ بأنها في غيرِ مكانِها!

تطاردُني كلماتٌ لا أرغبُ بالاعترافِ بها

آه.. ما أعمقَ الفكرةَ

وما أسخفَ الكلامَ!

نبتةُ الكراهية

هل لكَ أن تتخيلَ

أن ينعزلَ الإنسانُ لسنواتٍ طويلةٍ بمفردِهِ

أن يسقيَ نبتةَ الحبِّ

فتكبرَ عوضاً عنها نبتةُ الكراهية!

ماذا أفعلُ بالربيعِ

متجذرٌ هذا البكاءُ بأصابعي

فلا يجفُّ الحزنُ

ولا تموتُ الذاكرةُ

ماذا تفيدُ الابتسامةُ

تحتَ شمسٍ ساطِعة؟

وماذا أفعلُ بالربيعِ

وكلُّ القصائدِ والحروفِ مبللةٌ؟

أريد أن أمضي

في داخلي عنفٌ ورصاصٌ

وزجاجٌ مكسورٌ وصراخٌ

في داخلي

ماءٌ عذبٌ وشاطئٌ وأصدافٌ

غريبةٌ

أبحثُ عن أيِّ مكانٍ

أغدو به غريبةً أكثر!

تعيسةٌ

لا أستحي من تعاستي

وأحملُ مسؤوليةَ قلبي كاملةً

أحملُ مسؤوليةَ طيشِ روحي

وأقفُ أمامَ السماءِ وأعترفُ

أنا لا أريدُ العودةَ إلى الوراءِ

أنا فقطْ أريدُ أن أمضي...

من الخطأِ أن يحبُّ المرءُ مرّةً واحدة

لم تعد تخيفُني الحقيقةُ

لم يعد هناك شيءٌ يحزِنُني

من الخطأِ أن يحبَّ المرءُ مرّةً واحدة

من الخطأِ أن يحبَّ المرءُ مرةً ثانية

قبلكَ كنتُ امرأة

معك أصبحتُ معجزة

بعدك أصبحتُ السراب

ولن أغفرَ لك

لأنك اقتلعتَ الجنونَ من أحلامي

وزرعتَه في واقعي!

هناك ثقبٌ في روحي

لقد فقدتُ الكثيرَ

هناك ثقبٌ في روحي

يتسربُ منه الصقيعُ على الدوام

إنني أحتاجُ لعناقِ أحدِهم

لعناقٍ شخصٍ لا أعرفُه!

من الجيدِ أن نعانقَ الغرباء، ليس لأنهم يشبهوننا

بل لأننا نستطيعُ الاقترابَ منهم بعفويةٍ، باندفاعٍ

لم تقتلْهُ جراحُهم فينا بعد.

أتساءلُ

كم كنتُ أطمحُ أن تبادلَني المحبة

تلك البلادُ التي لفظَتنا يتامى

أعيشُ متطفلةً على حياتي

لا يعنيني أيُّ شيء

ولا أكفُّ أتساءلُ:

من زرعَ حبَّ المدائنِ فينا؟

كنت..

كنتُ سأخترعُ عباراتٍ

تترجمُ لهفةَ العصفورِ

كنتُ سأفسّرُ صوتَ خريرِ الماءِ

كنتُ سأرسمُ قلباً واسعاً بحدودِ وطن

كنتُ سأكتبُ أنشودةً للأطفالِ

قصيدتي حبلى بأجنّةِ الفرحِ

والسماءُ تمطرُ بالقذائف!

تحذير

لست دُميةً

تضغطُ على أحشائِها

وتردّدُ أحبكَ للأبد!

سأحيا

إنك تطعنُني وأموتُ

لكنني أحيا

وسأحيا على الدوام

لأنني تعلمتُ النهوضَ وحدي.

حبيبي الذي لا اسمَ له

لن أطلقَ عليكَ أيّ اسمٍ

ما عادَ في وسعي الصراخُ

أحدهم أخذَ الحماسَ من صوتي

وكلَّ قلبي

ورحل!

أسميثها الخواء

منذ زمنٍ بعيدٍ

أحاولُ أن أبكي

أحاولُ تحديدَ ملامحِ الفراغ

اغفر لي يا ألله

لأني لا أحبُّ دفءَ الشمسِ

لأني أريدُ التخلصَ من كلّ المشاعرِ

لأني أريدُ النجاةَ من الحياةِ

منذ زمنٍ بعيدٍ

أحاولُ أن أكتبَ عن أشياء لا أعرفُها

لكنها تبعثُ الفوضى في كياني

البعضُ يسميها الحنين

البعضُ يسميها الغربة

والبعضُ يقول الذكريات

لكنني أنا

أسميتُها الخواء.

غبار

لك في هذا العالمِ اسمٌ

لك جنسٌ

لك أوراقٌ ثبوتيةٌ

لكنّك في عيني

ذرةُ غبارٍ لا أبصرُها

لا تزعِجْني

لا تُقلقْ نظري

ذرةُ غبارٍ لا مرئية.

إلى متى

إلى متى

سأبقى أحبكِ هكذا

حباً من طرف واحد!

أرِيني وجهكِ

كي أمعنَ النظرَ في عينيكِ وأسألَك

أين هو قلبُك؟

وبأيِّ حقٍ أموتُ لأجلكِ؟

ولمن أنتِ أيتها البلادُ

إن كنتُ منكِ وأجهلُكِ!

عن الخوف

أمي

لقد أصبحَ البحرُ يخيفُني

كم أخشى أن أتعثرَ بجثةِ حلُم!

أبي

أخاف الخيامَ والغيومَ

آه، كم أصبحتُ أخشى الشتاءَ

وأكرهُ المطرَ.

لحظةُ صدق

في لحظةِ صدقٍ

أسألُ المرأةَ الأكثرَ مرحاً في داخلي

ماذا تريد؟

_ لا شيء

وتضحكُ كثيراً

في لحظة صدقٍ أخرى

أسألُ المرأةَ الأكثرَ حُزناً في داخلي

ماذا تريد؟

_ لا شيء

وتبكي كثيراً.

البيوتُ الفارغة

الخيولُ تصهلُ وحيدةً

أمام البيوتِ المهجورةِ

السقفُ يهوي على الأرضِ

تتراكمُ الأنقاضُ فوقَ صدري

وتسحقُني الذكريات

إنه زمنُ البيوتِ الفارغةِ

زمنُ القلوبِ الطافحةِ

زمنُ المقابرِ المكتظةِ

والأشباح!

كثيرةٌ هي الكلماتُ الضائعةُ

لفرطِ ما ابتلعتُها

كثيرةٌ هي البراويزُ المحطمةُ

التي تخلّتْ عن أرواحِها

كثيرةٌ هي النهاياتُ

التي لا بدايةَ لها إلا الذكرى!

ما الفرقُ

ما الفرقُ

إن ضحكتُ أو بكيتُ؟

وأنتَ عاجزٌ عن ضخّ الفرحِ

أو مشاطرتي البكاء!

هناك أوقاتٌ يتساوى فيها الصمتُ مع الكلام.

لا شيءَ يعنيني هذا المساء

استغنيتُ عن الكثيرِ من الأشياءِ والأشخاصِ

ولم أعُدْ ألاحظُ بأن مُعظمَ علاقاتي مبتورةٌ

لقد أصبحَ كلُّ نقصٍ هو الكمالُ بالنسبةِ لي!

ماذا سيحدث

ماذا سيحدثُ لهذا الكونِ

إذا صرختُ بأعلى صوتٍ:

أيتُها الشمسُ احرقي قلبَ حبيبي

ماذا سيحدثُ لو صرختُ بأعلى صوتٍ:

هذا الحبُّ يغتالُ الصّبايا

ماذا سيحدثُ لو كانَ للوفاءِ وجهٌ صادقٌ

ولم يكنْ توأمَ الفراق!

بلا صورةٍ

لم نولدْ حقاً

لن نموتَ حقاً

نحنُ كائناتٌ تسبحُ في العدمِ

لا تشفقُ على أحدٍ

وبينما يغطُّ العالَمُ في سُباتِه

يختلطُ الدّمُ بالماء

والمسافةُ بين الواقعِ والخيالِ

لحظةُ صدقٍ

لها ملامحُ عديدةٌ

فشلَتِ الكاميراتُ في التقاطِ صورةٍ لها!

عن خيالٍ حقيقي

هذا ظلامُ الليلِ

موحشٌ وعميقٌ

ونجمةٌ سقطَتْ حزينةً

تسألُ عن بيتِها المهجورِ

تحت أيِّ أرضٍ؟

في أيِّ سماء؟

الغربةُ أن تضيعَ الدربَ

أن تدميَ الطرقاتُ قلبَك

وأنتَ تبحثُ عن زمانٍ لن يعود

عن بلادٍ لم تكنْ إلا نزيلاً في سريرِ الخيالِ

الذي ترتاحُ إليهِ في سِرِّكَ!

أنا فكرةٌ حزينةٌ

ليسَ لديَّ أيُّ شيءٍ

لا مواعيدَ

لا هويةَ

حتى قلبي وزّعتُه على شواهدِ القبورِ

أنا فكرةٌ حزينةٌ تخلّفتْ عن سِربِ الطيورِ

المهاجرةِ

لا تؤمنُ بجدوى مطاردةِ الربيعِ

أزهرتُ كَثيراً

لكنّ أحداً لا يعجبُه

التأملُ في الحقولِ.

الابتسامةُ

مثلَ ستارةٍ تُسدَلُ

مثلَ بابٍ يغلقُ بكبرياءٍ

مثلَ سلاحٍ يُشهرُ

كم أنقذتْني الابتسامةُ.

ألوذُ بكَ كي أطفو

أحملُ هُمومي على أكتافي

وأركضُ إليكَ

تُهديني وردةً

وقصيدةَ حُبٍ

وابتسامةً صغيرةً

فأحيا..

أبكي

أحملُ دموعي وكلَّ ظلامِ الكونِ

وخِيانةَ الدُّنيا

وأطرُقُ بابَك

فيسقطُ جدارٌ سميكٌ.

تصافحُني وأضيءُ

أحبُّكَ

لأن العالمَ قاربٌ كبيرٌ

وألوذُ بكَ كي أطفو.

إلى مقيمٍ

سافرتَ كثيراً

بلا جوازِ سفَر

حملتُكَ في قلبي

من بلَدٍ إلى بلَد

وفي الشتاءِ أغطي

نفسي جيداً كي لا تبردَ.

صوت مستعار

قالت:

أحملُ بقايا أُنثى

تضمرُ (اللا) في أعماقِها

وتقولَ: (نعم)

نعمْ

كنايةً عن الرفضِ

كنايةً عن الرّضا

نعمْ

علامةُ الأنوثةِ

تاجُ المجتمع!

قالت:

أتظاهرُ بالقسوةِ

لأن جيوشَ المشاعرِ لا تبترُ إلا رأسي!

ماءٌ يُراقُ

ماءٌ يُراقُ

قالت:

أحفظُ الطريقَ عن ظهرِ قلبٍ

لكنّنا لم نصبحْ صديقين؟ بعدُ

يدي ليستْ ملكي

والطريقُ غريبةٌ!

قالت:

أتعالى بالصمتِ والعُزلةِ

أحتمي بوحدتي

إنهم يصفّقونَ دائماً

في حفلاتِ الزفافِ

وفي يومِ الولادةِ!

قالت:

لساني نظيفٌ لم أستعمِلْهُ بعدُ

حاضري صمتٌ

وصوتي صوتٌ مستعارٌ.

مراتٍ عديدة

رسائلُكَ

لا أعرفُ كيفَ تحولتْ من لمسةٍ إلى نُدبة؟

مراتٍ عديدة

أضرمتُ النارَ في صورتِك

وركضتُ تحتَ المطر

كي أطفئَ اشتعالَ قَلبي!

لأجلكَ

ابتكرتُ لأجلكَ

حفنةً من الكلماتِ الدافئةِ

لا أدري عندما أقرأُها

لماذا أشعرُ بالبردِ!

قالوا كثيراً

بأن الحبَّ يُنسى

متى ينتهي؟

وأبلغُ قمةَ النسيان!

بدايةٌ وختامٌ

في المرةِ الأولى عندَ اللقاءِ

أدركتُ بأنّ قلبيَ عصفورٌ

وبأن الأرضَ كلَّها سماءٌ كبيرةٌ

في المرةِ الأخيرةِ عندَ الرَّحيلِ

كنتُ متأكدةً بأنني لا أريدُ أن يناديَني أحدٌ.

مقاومة

أقلِّدُ جرأةَ الخريفِ

أخلعُ ذكرياتي قبلَ النومِ

ولا أحلمُ إلا بغَدي!

فرصة واحدة

هل يمكنُ للأرضِ

أن تتوقفَ قليلاً

عندما يموتُ الناسُ

عندما تدورُ الحَربُ

وتدقُّ الرقابُ بلا رحمةٍ

هل يمكنُ لهذهِ الأرضِ

أن تبكي معنا قليلاً

أن تحفظَ جثثَ الموتى

هل يمكنُ لهذهِ الأيامِ

أن تتعطّرَ

أن تكفَّ عن كونِها مستعملةً، رثةً ورديئة؟

هل يُمكنُ للساعةِ أن تتوقفَ كي أبكي؟

خُذيني أيتُها الفصولُ الدائرةُ

خذيني أيتُها العاصفةُ

امنحيني فرصةً واحدةً للانهيار!

الفرار

أفرُّ من الواقعِ

تسقطُ أغلالُ غيرَتِك

من حولِ معصمي..

بوِسعِك أن ترى الآنَ أنّني لا أحبُّك

بوسعكَ أن تعرفَ وأنتَ تعُدُّ سنواتِ الانتظار.

كيف؟

كلُّ الأشياءِ التي أرغبُ في التخلُّصِ منها

لا شكلَ ولا وزنَ لها

كيف نقتلعُ الذكرياتِ

ونزيلُ أكوامَ الكلمات والمواقفِ العالقةَ في زوايا القلبِ والعقلِ

تتساءلُ روحٌ مكتئبةٌ؟

لص الفرح

أيها اللصُّ

أرتابُ من الأمانِ برفقتِكَ

أرتابُ من صمتِكَ

من عطفِكَ

وسأبقى إلى الأبد

أخبئُ بُرعُمَ ابتسامتي عن قسوتِك.

سأصرخ

رأسي مليءٌ بالأحرفِ المكسورةِ

كلّما لملمتُها نالَتِ الأحزانُ مني

يوماً ما سيلتئمُ شملُ الحكايةِ

سيثورُ بركانُ الكلامِ وأصرخ.

شاعر

ما أعمقَ السّراب

في تلكَ الصحراءِ حيثُ يقيمُ

عطرُ الحُزنِ يَضجُّ بالمكانِ

والضوءُ ضلَّ الطريقَ!

لا تكفُّ تهبُّ الرياحُ

تلوَ الرياحِ

وتتضحُ قليلاً من صُورِ التاريخِ

لا تلفت انتباهَه!

يلفُّه الغَسقُ

يشربُ القهوةَ المرةَ في معزلٍ عنِ الموتى

جدارٌ يتلاشى كلما همَّ بالكتابةِ

ونبيٌ يتمشَّى أمامَ ناظِرَيه

لا يغتالُه أحدٌ!

طينٌ توحَّشَ أوقعَ غصنَ الزيتونِ

أمسك القلمَ

انكسرَتْ خابيةُ الحكمةِ

نهرٌ من الحبرِ ثارَ وسطَ رايةٍ فارغةٍ من الورقِ

وقفَ عندَ مفترقِ القضيةِ

نفخَ البخورَ حولَهُ

لا زالتْ يداهُ تقبضانِ على القلمِ

ورغمَ اليبابِ

لا يستطيعُ البوحَ!

يحملُ جُرحَهُ العتيقَ ويختفي

كمثلِ حقيقةٍ في الحُلم!

لن يأتي أحد

لن يأتي أحد

ليعطي السجين حريته

لن يأتي أحد

ليصرخ برفقة الضحية

لن يأتي أحد

ليقول افتقدتك

لن يأتي أحد

ويعيد الروح للموتى الأحياء

لن يأتي أحد

قد أُطلق السهم

وأُغلقت الأبواب!

ما اسمك؟

يسألني الغريب:

ما اسمكِ؟

أقول: سوريا

يُناديني.. فأبكي

يا أيها البلد الحزين

قلبي قتيلٌ ولا دليل

قلبي صغير.. لكنه يتسع لحطامك

قلبي تعيس لكنه قادرٌ على حبك..

فهرس

الإهداء ٥
سوريا ٧
كيف تمرُّ هذه الأيام ٨
صورة كاملة ١٠
ليس هنالك سببٌ خاصٌ للحزنِ ١١
سؤال ١٣
لماذا؟ ١٤
أيها الحب ١٥
لا تبدأِ الحوارَ ١٦
هل من مزيد؟ ١٨
رفضٌ لا احتمالاتِ لهُ ١٩
السر ٢٠
سنة جديدة.. لا تخصُّني! ٢١
سقطَ الفؤادُ ٢٣
لو تعلمين ٢٥
لستُ وكلَّ الزهورِ سواء ٣٠
قلبٌ برسمِ البيعِ ٣١

قطرةُ نَدى ٣٢
ربيعٌ ضائعٌ ٣٣
لستُ آسفةً ٣٤
يقولون ٣٥
كلانا غريبٌ ٣٧
لو أن ٣٩
عُمرٌ لا يُطاق ٤٠
لم نلتقِ ٤١
ضيفٌ ثقيلٌ ٤٣
أهناك وقتٌ؟ ٤٤
تمثال ٤٥
رصاصةٌ ٤٦
أخبرتك ٤٧
كلمةٌ واحدةٌ ٤٩
كل الأشياء ٥٠
أيتها البلادُ التي أكرهُ ٥١
أحدثكَ في خيالي ٥٣
لا أرضَ تُخلصُ لابنِ تربتِها ٥٥
نافذةٌ ٥٧
لا أحلمُ بشيء ٥٩
هل تستطيعُ ٦٠
أحبكَ ٦١
أنتَ لا تعرفُ ٦٣
سنكبرُ ٦٥

الحزنُ العتيقُ ٦٧
نصفٌ ٦٩
أحبُّ الحديثَ معك ٧٠
قبلةٌ مستحيلة ٧٢
لن تجدَني ٧٣
أمّي ٧٤
كلماتٌ برسمِ البيع ٧٥
نبتةُ الكراهية ٧٦
ماذا أفعلُ بالربيعِ ٧٧
أريد أن أمضي ٧٨
من الخطأِ أن يحبُّ المرءُ مرّةً واحدة ٨٠
هناك ثقبٌ في روحي ٨١
أتساءلُ ٨٢
كنت ٨٣
تحذير ٨٤
سأحيا ٨٥
حبيبي الذي لا اسمَ له ٨٦
أسميتُها الخواء ٨٧
غبار ٨٩
إلى متى ٩٠
عن الخوف ٩١
لحظةُ صدق ٩٢
البيوتُ الفارغة ٩٣
ما الفرقُ ٩٥

لا شيءَ يعنيني هذا المساء..... ٩٦
ماذا سيحدث ٩٧
بلا صورةٍ ٩٨
عن خيالٍ حقيقي..... ٩٩
أنا فكرةٌ حزينةٌ ١٠٠
الابتسامةُ..... ١٠١
ألوذُ بكَ كي أطفو..... ١٠٢
إلى مقيمٍ..... ١٠٤
صوت مستعار ١٠٥
مراتٍ عديدة ١٠٨
لأجلكَ ١٠٩
بدايةٌ وختامٌ ١١٠
مقاومة ١١١
فرصة واحدة ١١٢
الفرار ١١٤
كيف؟ ١١٥
لص الفرح..... ١١٦
سأصرخ ١١٧
شاعر ١١٨
لن يأتي أحد..... ١٢١
ما اسمك؟..... ١٢٣
فهرس..... ١٢٤